الآن سأقفز الجدول الصغير

عاشور الطويبي

شعر

أركنو للطباعة والنشر

الآن سأقفز الجدول الصغير

عاشور الطويبي

أركنو للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا

2022

لوحة الغلاف: عاشور الطويبي

الآن سأقفز الجدول الصغير

أحب أن أرسم الليل، ريشة في ذيل بومة

أحب أن أرسم الشتاء، صيحة ذئبٍ في فجٍّ عميق

أحب أن أرسم الربيع بحرًا في يد طفلة

أحب أن أرسم الوردة، فقّاعة تصعد في اتجاه الشمس

أحب أن أرسم وجهي، بلا ضحكات

أحب أن أرسم ساحة المرفأ، بلا حرس

أحب أن أرسم مرآة أمّي، على حائط أبيض

أحب أن أرسم غدًا، فوق درّاجة نارية

*

ربما، أستطيع اللحاق بالصمت، قبل أن يأخذه الليل بعيدا

ربما، أستطيع أن أفهم رهافة الشجن، في النظرة الحزينة

ليس ذلك، لأني أملك القدرة، على فعل أشياء خارقة

الكلمات المرصوصة في أكياس الشعراء، تفعل ذلك بيسر كبير

الشتاء العريان، يفعل ذلك بيسر كبير

حنفية الماء العمومية، تفعل ذلك بيسر كبير

الآن، ساقفزُ الجدول الصغير

أرواح قلقة

روح الذئب قلقة، هكذا يبدو من ذيله

الذيل، دائما يخون

روح ثمرة التين قلقة، هكذا يبدو من تشقّق قشرتها

القشرة، دائما تخون

روح النخلة قلقة، هكذا يبدو من ذبول عرجونها

العرجون، دائما يخون

روح المرأة قلقة، هكذا يبدو من انكسار نهدها

النهد، دائما يخون

روح الرجل قلقة، هكذا يبدو من انتصاب قضيبه

القضيب، دائما يخون

الجنّة، رعشة خائنة

اجخرّة* أو ساراجينا

يلوحُ نخيلها من وراء كثبان الرمل، كغربان تحوّم في السماء

شوارعها أخذتها الزلزلة، والعبيد الذين قذفت بهم قوافل الألمُ، تفرّقوا في الأرض

في العقد الثامن من القرن العشرين، دخلتُها بحذاء عسكري

لم يكن رملها كريمًا ولا ظلّها باردًا

ليلُها غافل عن أمره، يتقلّب بين نواح العبيد ونار اللذّة المحرّمة

ما رقّت في حياتها، لغير خيلها ولا حنّت في حياته، لغير مطرٍ، يلوح من وراء كثبانها

"إلى أين يا راحلُ؟" تسألني صبيّة من وراء باب

إلى سرّة وحبلٍ، أتعلّق بهما، علّني أقبض قبضة من أثر الرسول

وما طول خطوتك في الليل وفي النهار؟

هل من فرق بينهما؟

النهار، تؤنسه الخطوات القصيرة الهشّة، أمّا الليل فلا أحد أخبر بما يؤنسه

ما جلبتَ معك، إلى اجخرّة يا راحل؟

ما جلبتُه معي، أخذَه ضابطُ الدورية ورجلٌ منكم، على رقبته وشمُ غزالة

ستجد في آخر الليل تحت هذا الحائط، نبيذ نخل وخبز تنور وباباً مفتوحا

*اجخرّة: تتوسط منطقة الواحات الليبية، وتقع جنوب مدينة اجدابيا، كما أنها تكون مع واحتي جالو وأوجلة مثلثا متساوي الأضلاع كانت محطة لقوافل التجارة والعبيد ذكرها بطلميوس باسم: ساراجينا تشتهر بالتمور

واو الكبير* 1975

وأنا الآن في مدينة تروندهايم، النرويج استرجع تلك اللحظة، عام 1975.

حين اقترب الموت مني كنتُ نازلا من القارة**، المغطّى بالحجارة السوداء.

كانت قدمي اليمنى قد سبقت اليسرى، وعيني التفتت إلى طائرٍ، جناحاه كلما لمعت الشمس عليهما، ازدادا اخضرارا. لحظة انزاحت فيها الظلال عن الأشياء. لم يحط بي نور ولم أسمع همس حوريات ولا هبّت نسمات طريّة.

لحظةٌ غمرتني فيها اللّذة وانسابت الشهوات الدفيئة الدفينة.

يا لتلك اللحظة الزرقاء الأبدية التي عبرتني أو عبرتها.

*واو الكبير: واحد من ثلاثة واوات، واحات صغيرة جدا في الصحراء الليبية: واو الناموس، و واوحريرة التي يقال عنه أنه خطفته الجنّ، إذا رآه أحد لا يرجع إلى أهله أبدا

** القَارَةُ : جبل صغيرٌ منفردٌ أَسودُ مستديرٌ ململمٌ طويلٌ في السماءِ (معجم المعاني)

نيتشة مات من خَرفٍ

في عام 1889، في سنّ الرابعة والأربعين، انكسرتْ بصيرةُ نيتشة.

لم يقدر على جمعِ شظاياها، صار خائفاً من كلمات تأتيه عارية.

يراها تخرج من كتفيه، من عقلة إبهامه الأيسر،

ومن عظمة العصعص حين يجلس لقضاء حاجته.

لم تقل له شيئاً يفهمه، كانت تشيرُ إلى كوّة صغيرة في كفّه.

كتبَ رسائل الجنون، إلى عدد من الأرستقراطيين.

وضع الأطباء، بطاقة مرض الزهري من الدرجة الثالثة، على جثته في مستشفى بازل.

وحدها الكلمات العارية الجالسة، على طاولة المطبخ، تعلمُ أنه مات من خرفٍ، لا أكث.

مساء صيفي كئيب

طرق كثيرة، لوصف مساء صيفي كئيب.

يمكن مثلاً أن نقول:

مقعد جلدي، مبطّن باللبّاد قرب النافذة.

سهّارة ضوء، مطفأة فوق طاولة قصيرة من خشب الزان.

نافذة خشبها، مطلي بالأبيض الرمادي تساقطت قشوره.

كلبٌ متقرفص. على نفسه قبالة المقعد.

لا همهمة تصدر. من الكلب.

لا نسيم، يأت من النافذة.

لا أحد، لتتبادل معه الكلمات.

ليس، سوى مساء صيفي، كئيب.

غبارٌ شفيفٌ على المصباح

النتوء الصخري، كأنّه بحرٌ.
العيونُ، لا تخبرُ بما يجيش في القلوب.
العيونُ، مغلقة على أحلامٍ لا تشيخ.
ترقدُ على وسائد الجوع.

"العيونُ، آيةٌ منسوخة في الكتاب القديم.
النتوء الصخري، كأنه نملة مرّة وكالطود مرة أخرى – هذا ما قاله ابن الوردي–

هو، خيط فرحٍ غير مستقيم، أنا روحُه الجيّاشةُ.
هو، سندُ الشجرات اليافعة في أعالى الجبال، أنا شرشفُ تخاريفه العذبة.

هو، الغبارُ الشفيف على المصباح، أنا قطيفةُ الكرسيّ ورعشةُ الفرشاة في العتمة.
قالت المرأةُ المبتسمةُ في اللوحة المعلّقة، على حائط الغرفة."

"خفّة السكينة، على مسند الدرج مشاغبة وقورة جسورة طاهرة."
قال، ثم نزل الدرج بهدوء الانبياء

سأجزّ العشب هنا، أمّا تلك البيوت الغارقة في الظلال،
سأدفقُ عليها، الكثير من الماء والحزن.

ثمّ سأدفعُ إلى ما وراءِ النهر والجبل، هذا المساءَ المتلصّص أبدًا.
لا، ليس هذا حدُّ البحر، حدّهُ في قلب السماء.

في الصباح كانت النافذة

اهتزّت النافذة قليلاً، حين التصق الجسدان.
كان الولدُ، في الجهة المقابلة، يتأرجح تحت شجرة اليوكيلبتوس العالية.

اليدُ الناعمة، على الكتف شهقة حارقة.
الشَعر المرميّ، على الصدر وردة تستقيظ على مهل.

ما تراجعَ من رعشة الشفتين، غمرته مياهُ البحر.
عليك، أن تنتظر عودة الراحلين.
عليك، أن تنتظر حتى يصل الظلُّ، ساق الوجع.

لم أكن أعرف، أنّ الخطّ الفاصل بين الماء والسماء،
هشٌّ، خجولٌ، مخادعٌ، وقاتلٌ، قاتلٌ، قاتلٌ!

في السيرك، يتبع الفيلُ سيّده.
يخرجان، من وقتٍ منهكٍ.
في ظلّ الخيمةِ، يزيح بخرطومه الذباب، يحلمُ بغاباتٍ تقترب وتبتعد.

في الصباح، كانت النافذةُ، تطلُّ على غابة ونهر.
في منتصف النهار، امتلأت الغابةُ، بالعشاق، والنهرُ بالأسماك.

في المساء، ضجّت الغابةُ، بأصوات الأطفال، والنهرُ بطيور اللقلق.
في الليل، عادت الغابةُ، إلى سكينتها، والنهرُ إلى قمره الحميم.

طريّة كدمات الروح، طريّة كدمات الأغنية

ا

طَللٌ، شفيفٌ،
أينما يممتُ وجهي.
طريّةٌ كدمات الروح،
طرّيةٌ كدمات الأغنية.
أمدُّ طفولتي، فوق سحابة نسيان،
أطويها، بين سبّابة عارفٍ ونوم شحيح.
طفولتي، التي لم تبلغ شبابها بعد،
لا تستكثروا عليها أن تجلو مرآتها،
اطلقوها من تيه كلماتكم.
طفولتي، التي أنا، الآن.

دليلي،
يا دليلي الحيران!
هذا دمّل الروح، ينبض.
من يشته، دأدأة في يوم ريح!
دروب الجراح، عطنة.
لا بئر في مفازة، ولا دلو.

زبدٌ، يترك بحره.
لسانٌ، يلحس رمل الشطّ.
كلّ هذا البياض، في إبط الشطّ، زبدٌ مُدّ في ليل.
تتدلّى الكلمات، من فم الراوي.
تتدلّى الشهوات، من زنّار العارف.
يا لهفي، عليّ!
زبانية الشهوات، لا ينامون.

الشِعر جبيرة روحي.
لا تفرشوا، حصيرة جشعكم تحته.
مثلما، للكلبة جراؤها،
للروح، أيضا جراؤها،
وللقمر، جراؤه.
خبئوني، يا صحبي عنّي.
لم يعد لي، غير عواء وصهد شديد.

وكلّ شيء، يشبه كلّ شيء.
وكلّ شيء، لا يشبه شيء.
ورقاء، فوق شجرتها شجن.
ورقاء، فوق شجرتها ضميدة جرح.

واسعة، صيحتي.
واسعة، ظلمة السجن.
واسعة، حيرة الأعلى
واسعة حيرة الأسفل.
ضيّق، منفاي.
ضيّقة، خطواتي إليّ.
هل، اقتربتَ من إلهك أم أنّ إلهك لا يدنو؟

كأنّه، عمود سمعان.
كأنّه، دمع يسّاقط في نهر هادر.
كأنّه، يدا سائس خيل أعمى.
كأنّه، شجرة ألقت عذارها ليلا.
كأنّه، سدّ لم يستطيعوا له نقبا.
كأنّه، جناح طائر أرقش.
كأنّه، قوت قومٍ تائهين.
كأنّه، رأس ثائر معلّق على باب المدينة الطاهرة.
كأنّه، شوق طائر هائم بين هذا وذاك.
كأنّه، بدء البدء.
كأنّه نطفة ملك جبّار

الأشياء التي هنا، الأشياء التي هناك

يسقط حجر على الماء، يرتجف الماء.
لكن، ذعر الأسماك تحمله الكهوف والمرجانات الوديعة.

تلمس، الريح أغصان الشجرة، تميل الأوراق.
لكن، تطاير زيتها وفوح عطرها، ينهنه سكينة السهوب.

يحلّق، طائر في الفضاء، تنبسط الأجنحة وتنقبض.
لكن، صيده يصعد بهمة، إلى أعلى علّيين.

حديقة ليل

ما تطلّعتُ مرةً، من نافذة الكون، إلاّ رأيتها.

الليل، زهرة على الضفّة المقابلة،
يراك مثلما تراه،
محيّيا وصارخاً،
قلقاً وباكياً.
الليل، عاسّ يسير خلفي في العتمة.
إن، فتشته وجدت النهار، في جيب قميصه.
تحت وسادته، حلمٌ، كلّما كبر صغر،
كلّما حطّ يده، على شيءٍ، اختفى.
أمّا، حين يهمّ بالكلامُ، أراه
زورقاً، يركبه القراصنة والمهاجرون.
الليل، يبدّل أسماءنا، بأسماء يجمعها من قاع البئر،
أسماء كانت حجارةً في الوديان،
أخذت، من الغرباء يقظتهم ومن دوابّ البرّية خطواتها.
الليل، أغنيات تتساقط، من نعاس الكائنا.
لا ثياب لليلٍ ولا صافرة لحارسٍ.

النوم، رمّان أحمر

النوم، رمّان أحمر.
له وراء كلّ باب، جلبة وعسس.
يُرى ممددًا بين لوحين، من ثلج ونار.
النوم، كونٌ دُوّر وفناءٌ مبسوط.
النوم، يدا جنّي، تقلّبان سرير العاشق.
(يقف موليا الشمس ظهره،
يداه أريكةٌ عليها تقعد الكائنات)
لك، أن تختار بين جَنّةٍ
ووشمًا، رأسه سماء وذيله أرض.
لك، أن تخلع رداءك ولك أن ترتدي عريك.
(بينه وبينهم باب يفتح من الجهتين)
كأنّ، نومي ضفيرةُ مطر.
كأنّ، الهوى غناءٌ معلّقٌ في مناقير الطيور.
كأنّي، خيطٌ يتدلّى من سماءٍ مشقوقةٍ.
الليلُ، حائطٌ يسند رعشتي.
أصعد أو لا أصعد،
ذلك، خيار، لن آخذه ولن أتركه.
(الليلُ بستان أغنياتٌ)
لا ليلٌ، لا نومٌ ولا سجودٌ!
نارُهم، مشتعلةٌ ونومُهم دائمٌ.
(ليتَ لي نومةُ القنفد!)

كاليماخوس في طلميثة*

قابلني في الطريق إلى طلميثة، كان معه رجل به سمرة خفيفة ووفرة في الطول. تبادلنا التحية بإيماءتين، كأنهما ريشتا فروج بيضاوي. كاليماخوس، كان نادلا في مقهى الباكور، وكنتُ بائع حنطة في ساحة شحات.

ما الذي جاء بنا، إلى طلميثة؟

قضيتُ ليلتي الأولى، في طلميثة على ساحل البحر. لم يكن في الجراب، سوى رغيفين يابسين ورأس بصل.

الماء، أخذته من بيت قريب، لم يسألني صاحبه عن شيء، لكنه نظر طويلا في عيني.

اشعلتُ نارا وجلستُ، أحدق في لهب له جسد، كأجساد البشر يتلوّى، بلا صوت يهفو إلى الصعود إلى أعلى، ثم لمحت شيئاً يقترب فوقفتُ جزعاً.

*طلميثة وشحات: مدينتان في الجبل الأخضر، شرق ليبيا

في مكناس

في الحلقة، في مكناس، كنتُ بين المنشدين،
ريشة تدوّم في الهواء، لا تعرف لها مستقرا.
قلتُ، وأنا أنظر إلى القوم من أعلى :
مِن أيّ ساقية، يأتي هذا النهر المتهتك؟
من أيّ فلاةٍ تفيض، هذه الأنسام بالعطر؟
من أيّ وديعة تخرج، هذه الأرواح السكرانة؟
ثمّ كأنّي، مستلق تحت شجرة خرّوب،
قدامي، تجلس أطيار وأنعام أحدّثها وتحدثني.
ثمّ كأنّي، أركض في وادٍ حجارته، من ذهب وفضّة، وأشجاره تنطق بألف لسان.
ثمّ كأنّي، تخطّفني نعاس إلى حديقة فارغة، إلا من صوان من مرمر،
عليه كأسان، من زجاج أزرق وعودا حبق ونعناع.
ثمّ كأنّي، قبسة نارٍ في خلاء، تنتظر النبي الحيران.

تماسك، يا جدارُ،
كي، لا تسقط ساعة الزلزلة،
كي، لا تدقّ العزلةُ وتدها في روحك.
تماسك، يا جدارُ.

ألمٌ

ألمٌ كثير، على الوجوه، كأنه كسف عصارة سمسم.
شيءٌ ما سوداوي المزاج، في العالم السفلي،
يحمل ناره معه، أينما امتدت يدٌ،
في جراب ليلٍ أو في وسادة عاشقة.
ألمٌ
جارُ ليلٍ،
جارُ قنفد،
يلهث بصوتٍ، تهتزّ له أركان الأرض،
يُعيد بقدرٍ، روحَه وبقدرٍ روحَ وردة،
مِن السماء،
مِن النهر،
مِن الكثيب.

إلى تلّ الغربان،
جاء قبل الصباح،
رجال، غارقون في الألم.
ترفرف أعلامهم،
وقلوبهم خاوية.
هذا، أنين السهول،
وهذا، جسرهم إلى حياة هناك،
فارغة،
فارغة،
كعيونهم.

اقترب زورقٌ

اقترب زورقٌ، من جهة الشرق.
حلّقت حمامتان، صارتا ذيل سحابة.
يدُ الصيّاد البيضاء، تُلوّحُ لوجهٍ في غرفة زرقاء.
هذه نافذتي، وهذه أرجوحة الظهيرة.
زفرتي تنهض من كرسيّها، إلى ساحة المدينة.
مجازي، ورقٌ أخضر في مقبرةٍ عالية.
هل، أدلّكم على خِزانة الأغاني؟
أم، أدلّكم على بيت الحلزون؟
صباحي، ينهض على مهل.
نافذتي، تزيح الهواء على مهل.
شمسي، تسحب ظلّ الياسمين على مهل.
خلفي، جدار مشبع بالصمت، يشهق حين التفتُ أو أَئنُّ.
الليل، ردائي وأنا رداؤه.
كمْ مرّة جلستُ، والقمرُ على طاولته،
أَسْكرُ من خمرته، ويَسْكرُ من خمرتي.
هل، رأيتَ كيف يترنّح الكونُ، تحت أقدامنا؟
الصخور الكبيرة على المنحدر،
فقط تَكْسِرُ عنادَ الماء، لا تقتله.
كذلك،الأحلام لا تتوقّف، عن دحرجة الصلوات
من تحت الباب، إلى البحر العظيم.

كون، مليء بالشجن

هنا، حطّت الريح على الشجرة.
هنا، تعالت الصيحات على جانب الطريق.
هنا، حطّ غبار الخيل على الصخرة.
هنا، تُنصتُ أعمدة الحجارة لأصوات الموتى.
هنا، تلتقي يد السماء ويد الأرض.
هنا، لا يغادر القمر بيته.
هنا، سَكر وغناء.
هنا، تفقد السكينة بصيرتها.
هنا، يبدا الزمان.
هنا، ينتهي الزمان.

حين، تكون الوردة جرسًا، في عنق الديك،
يكون، للطيور في الغياب صوت واحد،
يكون، لوجيب القلب أمواج، تضرب بطن القارب،
يكون، للفقّاع الغريب في الغابة، شذاه،
ويكون، لخطاب الملك، ألف سجين في الساحة.

استمعْ، إلى الفصول،
صمتها، حيرتها، أشجارها، وعشبها.
قرية قصيّة، رمالها، تشدّ قوسها ليلا.
أنا، لستُ صوتها!
أتيتُ، بيدين فارغتين إلى هناك.
وبعيداً، يمشي عجوز يشبهني.
صعبٌ، أن يحمل قلب أغانيه، في نهارٍ أعمى.

في مرسم صديقي، بجعة تسبح وسمكة تطير

في الظهيرة، لا رائحة للخريف.

الأوراق البنية، تستلقي خانعة.

لماذا إذن، تفوح اللوحة، برائحة البطاطس المقرمشة؟!

نافذة المرسم، نصف مفتوحة،

تحتها تماماً، أدوات طبخ الشاي.

أجلسُ، محدقّا في بجعة تسبح وسمكة تطير.

تلمع، في عينيه ابتسامة وتلوّح يده، بشيء لا أراه.

يتسرّب بحر شاسع وسمك، على ظهوره زعانف حمراء.

صور العائلة

الموتى الواقفون، على الحيطان،
يأخذون أحيانًا وقتًا،
ينزلون فيه من صورهم المؤطّرة بالخشب،
يلمسون أسطح الزجاج بحنان.
غايتهم، أن يحركوا أرجلهم قليلًا، خارج الباب،
يتدربوا على صنع إيماءات وتلويحات جديدة.
تأخذهم، الحماسة وهم يراقبون أقربائهم، يأكلون ويشربون ويضحكون.
أولئك الموتى، لم يرهم أحدٌ، يعودون إلى حيواتهم، في الصور المعلّقة، على الحيطان.

قصيدة، عن شتاء بعيد

هناك أصوات، خارج الغرفة،
خافتة، كسقوط حبّة مشمش،
حادّة، كرفرفة أجنحة.
هناك ثلاث حبّات قرنفل، في قعر كأس الشاي.
هناك أيضا فكرة كتابة قصيدة، عن شتاء تبدأ هكذا:
شتاء خجول، يجلس أمام غراب،
شتاء أخرس، بطول سبعة أذرع،
شتاء، له ألف عين.
يمكن، العودة مرارًا لهذه القصيدة،
من حقل الرياضيات،
من حقل الفلسفة،
من حقل الغناء،
من حقل العبادة،
من حقل السجن،
لتلد عددًا كبيرا من القصائد،
تكفي، لتسميد، حقل قرنفل، قبالة البحر.

تسع شذرات، للخريف

1

أتذكّرُ ، نغمات عود تعلو وتخفت،

أشجارَ رمّان، تهب حمرتها،

سُكارى نائمين؟

2

تأنّ، في حمل الطائر على كفّك،

اتركه، يهب نفسه راضيا.

3

ويحَه، مَن على سلّمه يجلس القمر !

4

رأيت، أن أدعهم يأخذون طريقا آخرَ.

طريقي، لا يسع غيري.

5

سماء هذا الصباح،

قَطفتْ زرقتها من بحر صبراتة.

وجه الغريب على زجاج النافذة، كئيب.

6

أين، ذهب وهج الأشياء؟!

مَن، أخذ دفء الشمس؟

مَن، ترك قفازاته في الشرفة الباردة؟

7

سيبقى باب البيت، مقفلا.

سيبقى القلب يترنّح، سكران.

8

ها أنت ذا الآن، تنصت، لأوجاع جسد معلّق بخيط.

أهذه، أصوات أقدام تقترب أم تبتعد؟

يا لهشاشة الروح، الموحشة!

9

خطْفاً، تقطع ثلاثة غربان، المشهد من النافذة.

حَسْبُ، ثلاثُ لطخات سوداء.

حَسْبُ، صباحٌ ثقيلٌ ينهض.

أثر الطائر

أشحْ بصركَ، عن الوردة.
اتبع، أثر الطائر الذي حطّ ورحل.
هل، تعرف كيف تجد أثر الطائر، في الهواء؟!
لن، تتبعه بعينك،
لن، تتبعه بسمعك.
ستتبعه بقلبك، فهو خبير بأثر الطائر.

هل، تعلم أين يذهب الليل؟
الليل، لا يذهب إلى أيّ مكان،
بل، يخلع نعليه على عتبة النهار.
الصباح، صحن الليل.
الصباح، طاقية الليل
الصباح سرير الليل.
انظر حواليك، كلّ صباح،
ستجد أحلام الكائنات،
بعضها يزهر،
بعضها يذوي،
بعضها نحن، في كامل حيواتنا،
بعضها نحن، في كامل موتنا،
هل أواصل ؟!

تيه هشّ

تحت شجرة الخروب:
خمسة فساتين حمراء،
خمسة خلاخيل،
وريح واحدة سكرانة.

حسبه دخانٌ،
يصعد كثيفاً، يغمره سكون الموت.

في الثورات الجديدة، الظلالُ تتشابه.
في الثورات الجديدة، القتلى يتشابهون.

لكلّ ثورة، حرب خادعة.
لكلّ حرب، ثورة خادعة.

أيّ ربيع، هذا الذي يأخذ أحلام الفقراء،
إلى تيه هشّ؟!

تسع قصائد ريفيّة

إلى زوجتي آمنة الأزرق

1

"مثلما للنهار شمس، كذلك للّيل شمس"

حدثني، جاري البهلول وأردف رافعاً جَزرةً في الهواء:

اللّيل والنهار، الشمس والقمر، كهذه الجزرة،

لا تتعب نفسك، كذلك الخير والشرّ كهذه الجزرة،

بئر القرية، مسكون بخلقٍ غير خلقنا،

هل رأيتهم؟

أنا، واحدٌ منهم يا أعمى!

لكنّك، بشر مثلنا!

امسكْ بيدي هذه، ماذا ترى فيها؟

خطوطًا وبضع بقع سوداء.

فقط؟!

يدي هذه، يدٌ لكم، وعينٌ لنا.

عندما أضع يدي، على حافّة البئر أرى..

ماذا ترى؟!

بشرا بطول قرن فول، مدينة على رأس إبرة، وبحراً بلا ساحل.

وماذا أيضا؟

عرائس جميلة في علب من نحاس، خيلا وإبلا وثيرانا،

سهولا وجبالا، مطابخ وأطعمة وأسواقا وعمارات.

هل يموت الخلق هناك؟

هم، فقط يغطسون في الماء.

2

لليلتين متتاليتين، لم أحظَ أنا وأبي وأمي وإخوتي بالنوم.

أصوات المدفعية والبنادق مليئة بالخوف.

خوف، يمكنك أن تحمله بيديك، مثلما تحمل كيس برتقال أو كيس بطاطا.

طوال أعوامي السبعة، لم أغادر منطقة أبوسليم.

مدرستي، ليست بعيدة من هنا، لو مشيتَ على قدميك، وبعد بناية الحكومة الكبيرة، –لماذا تبني الحكومة بنايات قبيحة؟– ستجد مدرستي.

قال أبي أمس: أن الثورات لها ضحايا.

ضحايا لا نراهم، فقط نسمع بهم، ثم نفرح أنّنا لم نكن منهم.

قالت أمّي: الثورات، تنبت الخراب سهلاً وخفيفًا كأزهار الفول.

البيوت، التي تفقد حيطانها وأسقفها، تصير قلوب أصحابها ثقيلة.

قالت معلّمة الفصل، قبل القتال الأخير: الثورات يصنعها الأبطال.

لكنّ الأبطال، يموتون مبكرًا أو يسجنون.

أنا، لا أريد أن أكون ثوريا،

أريد فقط أن أرسم حقل شعير، تحت شمس كبيرة،

وأرسم طيورًا، فوق الأشجار.

3

الخط الأزرق البعيد، ليس بحرًا،
أيضا، ليس حدبة جبل صغير.
هل يمكن إذن أن يكون، سرب طيور مهاجرة؟

التفتُ إلى الرجل، الجالس على يميني:
هل، ترى ذلك –أشرتُ باصبعي– الخط الأزرق البعيد؟
ذلك، ليس خطّاً، بل ضفيرة حبيبتي،
انظر، كيف يرفرف الشريط الحريري، في الهواء!
لكني، لم أره إلا اليوم.
كيف يمكن لحبيبتك، أن تكون بعيدة عنك؟
هههه! ما أدراك، أنت بالحب!

رجلان، جالسان على مقعد
وحمام كثير، يلتقط فتات خبز يابس،
في، حديقة تفوح برائحة اليود

4

كلّ شيء، يستعدّ للرحيل.
طيور الشمال، صارت أكثر صمتًا وأقل شراسة.
هواء الصباح الباكر، صار كثيفًا، كلوح زجاج خشن،
أشجار السهل، صارت تسقط أعشاشها الخفيفة.
مشية حارس السوق الليلي، صارت مختلّة الإيقاع قصيرة.
ضحكة العجوز في الشقّة 101، صارت أقرب إلى العويل.
يدي القابضة على مقبض الباب، صارت باردة كثيرة التجاعيد.
جاري الذي أخذت عقله الحربُ، صار رقيق الحاشية، ناعم القول كثير الصلاة.

5

هذه، وحشة الشاعر.
هذا، أنا في حياة سابقة.
هل، تعلم أين حارس الغيمة؟
لا، لكني أعلم أين بستان الغيمة!
أين، بستان الغيمة؟
فوق تلك الهضبة تماما.
هكذا، إذن !
نعم، هكذا!
سآخذ الطريق الغربي، إلى عريشة التفاح.
وأنا، سآخذ طريق فرس البحر.
هل، رأيت القمر، خلف شجرة الخروب الكبيرة؟
بيته،فوق الكثيب؟!
امض ولا تخش شيئا.

6

البئرُ، عشّ الطائر.
الجابيةُ، بيت السماء.
خمسُ قفزات لا أكثر، لأصل إلى كثيب الرمل.

مغمض العينين، تمامًا،
يمكنني، قطف حبّات التين الناضجة.

حين، يهدأ غبار الخطوات،
تصعد الشمس، حائط الجامع الطيني،
ويميل النخل العالي، آن يفوح الخبز في التنور.

7

ستتعبين، من النظر إلى السماء.
أيّ طمع لك فيها؟!
سيأتي المطر، في موعده،
وتفتح السهول، دروبًا طويلة له.

في الليل، يَطرقُ باب أوّل بيت،
يطلب من سيّدته، صحن بازلاء، مع كثير من البصل.
"لا بأس، أن تترك خرافك في الفناء الخلفي" تقول سيّدة البيت
" لا بأس أن تضطجع قليلًا، على السرير،
الذي لم يرجع إليه صاحبه"
تقول سيّدة البيت وهي تنظر من النافذة، إلى ظلّ جبل هَرِم.

8

عند الشجرة، ذات الأغصان
الشبيهة، بالرجال الذي يعودون آخر الليل، إلى بيوتهم،
انقسمتْ الغيمةُ، إلى سبعة أقمار:
الذي في مقدمتهم، يترنّح على اليمين وعلى الشمال،
الذي في الوسط، غارقٌ في السكينة،
أما البقيّة، فحرس أوفياء.

9

الزهور التي أحببتُها،

كانت قصيرة السيقان، رقيقة الأعناق.

بيتها التلال والبراري،

تخاف صخب الليل وترقص تحت القمر الكبير.

الزهور التي أحببتها، لم تنادني باسمي،

–هي لم تنادني أبداً–

لا يد لها، لأمدّ لها يدي.

لا فم ،لأقبّله.

الزهور التي أحببتها،

تهرب في الخريف، إلى بلاد لا أعرفها.

يا لسذاجة الأمنيات!

خريف

تسقط الكلمات الصغيرة، كما تسقط حبّات المطر، في الخريف.
شرفة البيت مبلولة، الأشجار كما هي في أماكنها،
الطيور ما تزال نائمة، وفي الأعلى غيوم كثيفة.

أقرأُ السطر الذي كتبته قبل قليل، أعيد بناءه:
الكلمات صغيرة، تسقط حبات المطر في الخريف.
الشاي بالقرنفل، يبعث على الكسل.
أيّ، يد قطفت ذات صباح، هذا القرنفل؟
هل، من سفينة تحمل أنين، هذا البحر؟

أعيد كتابة السطر، كما يلي:
صغيرة، حبات مطر الخريف.
أتوقف، لأتابع من نافذتي، رجلا يمشي، بجانبه كلبه.
خريف، فحسب!

الأمنيات

كذلك، الأمنيات أنواع:
نقية: ماء نبع، في حديقة غناء،
بين بين: راكبُ زورق، في بحر لجّي.
كريهة: سنوات، ثورة عجاف.

كذلك، الصداقة أنواع:
بطنية: لا تغادر وليمة، ولا تدعو الى وليمة،
كلبية: لا تنام، حتى ترى الدم يقطر،
وفيّة: لن تجدها، إلا في المرآة.

كذلك، الشدائد أنواع:
خفيفة: قفزة أرنب، في برية،
متوسطة: بقرة وحيدة، في حقل،
ثقيلة: ليل، إنسان معدم.

فجأة، مرق الطائر

أشجار الصنوبر!
هل، أخبرتكن هذا من قبل؟
شارلي باركر –الطائر– يجلس هناك، على العشب.
حافّة المنديل الأبيض، تتابع إيقاع الأصابع.
أمّه، غادرت مبكرا هذا الصباح.
يمضغ إفطاره ساهماً.
يفكر، كيف يبيع دجاجات نساء الشوارع.

الموسيقى، تحمل الكثير من الجوع.
الموسيقى، تحمل الكثير من الخوف.

فجأة، مرق الطائر،
صِت، صِبيت، صِت.
أكان، يتبع قلبه، خلف حبيبة أو رفيقة؟
أم، كان يجوب، الكون خائفا؟
عصاتي، لها صوتها أيضا، لكن، لا خوف ولا شجن فيها.
عصاتي، بوصلة القلب وحاشية البئر.

أيّكم، قريب من كينونة،
لا تتعب، من الرقص،
ولا تتوقف، عن الغناء؟

فجأة، مرق الطائر!

فاصل

اركضْ، يا رجل،
البيداء أمامك، تكاد تقبض عليها باليدين.

اركضْ، يا رجل،
الفتية، لم يستيقظوا بعد والشمس بين رجلي كلب.

اركضْ، يا رجل،
خفيفًا، خفيفا.

لا تسألني

لا تسألني، كيف؟
ليس كلّ طائر، يأكل التين،
والرضيع، لا يأكل الخبز.
كيف تلومون، على الكمال النقصان؟
كيف تتألمون من ثقل القمر المنير؟
كيف تسقطون، في الماء بكامل ثيابكم؟
نحن النغم وأنت العازف،
نحن الدموع وأنت النواح.
كلّ روح، تتبع طائرها.
ضفّة النهر، لا تعرف غير نهرها.
ضفة النهر، لا ترى في الضفة الأخرى، إلا صورتها.
النهر، غير عابىء بشيء،
يسيل، إلى مصبه.

عن الربيع الليبي

صعِدتُ التلّة، بخطوات قصيرة، كنتُ حزيناً بما لا طاقة لي، على احتماله

كلّ ليلة، يشتبكُ الثائرون، مع أشباح وراء الكثبان الرملية.

قبلتُ، أن أكون وصيّاً على نفسي، لأول مرّة.

الرعاة الخمسة للشتاء، صعدوا الجبل ولم يرجع منهم أحد، كانت الريح شديدة،

خافوا، أن يكون للحجر قلب، فحطّموا الحجر.

لسنين طويلة، أتركُ أحلامي، ترسمُ لياليها بفرشاة لها رائحة التين.

من فرجة ضيّقةٍ في ظهرِ الكرسي البلاستيكي رأيته، هدهد يضرب التراب، بمنقاره الطويل.

تحت شجرة التين، في بيت الطوبية، قرأتُ قصائد شعرٍ كبرى.

السوسنةُ اهتزّتْ قليلاً، لم أنتبه إلى هذا، إلا بعد أن غادر الجميع، ملتقى الشعراء المجدّدين.

ذاكرتي فارغة، الحياة دائماً الآن.

**

الشرفات في عين الشمس، الشرفات في الظلّ، تُعلّقُ أعلامَ الاستقلال.

أيدي الجالسين في سيارات الجيب العسكرية، تلوّح بإشارة النصر.

لافتات المقاهي بالحروف اللاتينية، تختبيء وراء أصوات منبهات السيارات.

على جانبي كلّ سيارة جيب، أعلام دولة قطر ودولة تركيا، أصغر قليلا من أعلام الاستقلال.

الأطفال غائبون عن المهرجان، النساء غائبات عن المهرجان.

زرقة المساء، زرقة البحر، لا ينقصان من كآبة المكان، شعارات الثورة، لا تجد ريح قوية تهزها.

دم الزعيم يلطّخ قميص الثائر، يدهُ ترتفع في الهواء ثقيلة، عين الزعيم، تريد أن ترى، لكن لا شيء هناك، سوى حقد عظيم وأقدام حافية وموت كبير.

يخفي وجهه بعلم الاستقلال، بنطلون الجينز، تهدهده ريح ربيع ساخن.

لم يبق حائط في البلاد، إلا وخَطّ عليه ثائرٌ اسمَ شهيد أو رسالة للحكام الجدد.

امتلأت القبائل بالكراهية، امتلأت القنوات الفضائية بالمادحين، امتلأت المخازن بالمسروقات.

شعب تاريخه أعمى، يَقتلُ ويُقتل، يَسرقُ ويُسرق، رجلاه في الطين ورأسه في سماء تعجّ بالأنبيا.

لهذا جعلت الساحات الصغيرة المطلّة على البحر: سدّة عالية، كراسي خشبية، مكبرات صوت، ورجال مهرة في اقتناء الكلمات الخادعة.

في ساحات الثورة، يرقص الفقراء والشعراء يلقون قصائدهم بابّهة، يسيل العرق على وجوههم، تسيل الكلمات المفخّخة على أكتاف الجماهير، يصفّق الحاضرون، يصفّق الغائبون. نهار طويل، وليل حالك.

عن الفول وافلاطون العريض

حقل الفول، لا تقطعه الأعداد المقدسة.
فقط، الأرواح تتنفّس، في حقل الفول.
الأعداد، تحمل على أكتافها، خوفها وفرحها.
في جيب كلّ واحد منها، نعاج ترعى وأنهار تجري.
تعقد على جبينها، خيوطا ملونة.
ضحك عذب، يتبعها أين ذهبت.
أنا، خادمها الوفي.

أنا، أحيا بذاكرة غربال.
تسقط الأشياء،
كلّ الأشياء.

ذاكرة تئن، من ثقل روحها،
فتتركها تسقط، رطبة يابسة.

حياتي، ليس فيها ما يلفت الإنتباه.
حياتي، لفافات أيام مشقوقة،
تتفتت بإصبع واحد.
لذا، لا أصنع قصائد منها.
يكفيني، أنها تمضي، آن ولادتها إلى جبّ عميق.

كيف تقضي يومك؟
اشرب بيرة باردة 4.5%
ثمّ؟!
يترنّحُ يومي في الشوارع
هل يهربُ الشعر منك؟
لا أدري! ما شكله؟
ما لباسه؟

صباحاً، انظرُ في المرآة، أرى:
كرشاً كبيرة،
احمراراً في العينين،
حساسية للصابون في الجبين وعلى جانبي الأنف،
رأساً أصلع،

وحزناً ثقيلاً، ثقيلاً.

البجعة التي رأيتها أمام بيت ليدا في صبراتة،
البجعة التي ولدت من فخد سقراط،
نشرت جناحيها وحلقت عاليا.

الآن، آكل التين مع افلاطون العريض وأنتظر،
يوماً ما، سوف تولد بجعة من فخدي.

لو مددتُ يدي، لأمسكتُ بشهاب سقط وراء جبل.
لو رسمت خطّا مستقيمًا بين شفتي وشفة البئر، لسال نهر من خمر.
لو سبقت خطوتي نحوي، لوصلتُ والطائرُ الغريب إلى عتبة الدار.
لو أخذت اللحن الذي اسمع كل ليلة إلى الغابة، لكان موسم الكمأ وفيرا.
لو الصقتُ على جدار غرفتي خفقات قلبي، لأشرقت شموس في البرية.
لو كان للصمت ظهيرة، لهربت الظلال، من شقوق السماء.

في ظلّه، تزهر الحكايات

سكينةُ الليل، عميقةٌ.
انظرْ، قبرُ مَن ذاك،
على قبّته، تجلس الطيور
وفي ظلّه، تزهر الحكايات؟!

وراء النوافذ، عيون تطلُّ على مقبرة.
بين شمس تأتي، وشمس تغيب،
حبلُ نشيج النائحات.

العصفور، توقّف عن نقر حبوب الشوفان.
علبة أعواد الثقاب. باردة.
المقصُّ، يفتح فمه ليبتلع نفسه.

في دورق البورسلين،
حيرة الحيتان ونشوة الغزالة.
يجلس الفنان، واضعاً رجلا فوق رجل.

يقف الرجلُ، ظهره قبالة اللوحة اليابانية.
حسبها انحناءة عنق المرأة،
حسبها استرخاءة الكيمينو.

أحلامه خضراء، تكاد تقفز من عينيه.
يداه على صدره، حياةٌ متوتّرة.
قميصهُ المخطّط، علمٌ وساريةٌ.

دقّات طبول خجولة، تقترب،
تحطُّ على خدّ فراشة،
ليس بعيداً، عن شرائح خبز محمص.

طيور الحنّاء

اليدُ، وراء رأسها فقط،
لتمنع، نظرات العابرين العجلى، من الانكسار.

لا يخاف، إذا ما اقتربت السحب منه،
لكنه يهتزّ، إذا ما حلّقت فوقه طيور الحنّاء.

على الحائط، نهر وأشجار مشمش.
على أرضية الحجرة، حقل أرز وحقل لفت وحمار يقف قبالة شمس.

على الحائط، حاشية سماء زرقاء.
على سقف الحجرة، شجرة تين وسرب طيور لقلق تكاد تختفي.

على الحائط ،بحر وسبّاحون مهرة
على أرضية الحجرة، حقل نعناع وحقل جزر على أوراقه تلمع قطرات ماء.

على الحائط ،عيدان قصب تهزّها الريح.
على سقف الحجرة، كثبان رمل وسحالي وبقايا نيران قوافل رحلت قبل الفجر.

كلّما، اعطت المباني ظهرها للحقول،
عَلتْ جلبةٌ وبكاءٌ ونزلتْ من السماء، غيومٌ وأوهام.

الطريق

الطريق ،الغارقةُ في سكينة الغابة،
لا تصل إلى الجبال البعيدة، تلتفّ على نفسها كثعبان تعب.

طيّةً، وراء طيّةٍ،
صفّاً، وراء صفٍّ، تقف الكائنات عند المنعطف.

قبل مجيء المساء،
يرتّب المزارع خيوط روحه، خيطاً خيطا.

حسبه دخان البيوت،
يصعد كثيفاً، يغمره سكون الغروب الأبدي.

لكلّ حقلٍ، حنطةٍ،
سُلّمٌ، يصعد عليه الفقراء. ما أبعدَ أوهام المرابين الهشّة.

في المدن الجديدة، الظلالُ تتشابه.
في المدن الجديدة، الليلُ متعدّدُ الألوان الألحانُ هامشية.

في المرآة المستديرة الصغيرة،
الذراعُ عاريةٌ كشمس أغسطس، العنقُ طويلٌ كشجرة دردار.

السمكة والأرنب

الحزام الجلدي، على الكرسي.
السمكة المدخّنة، في الصحن.
الأرنبُ، يتأهّب للقفزة العظيمة.

كأنّ البصلة عند حافّة الطاولة، ترغبُ في الانتحار!
غصنُ النعناع، قائدُ حفلةٍ موسيقيةٍ.
الضيوفُ الغائبون، همسٌ لا يسمعه أحد.

يا لثقل قدميْ الفلاّحة، على الأعشاب الغضّة.
على الحائط، منشفة بيضاء، ظلُّها يَسقطُ من أعلى.
على مهلٍ، تتقدّمُ القطّةُ.

إلى أين، سيهرب الأرنب؟
سلّة الفلّاحة، فارغةٌ.
القطّةُ، لا تُغمض عينيها لحظة.

مَرجُ الحلازين، عند فم الوادي.
هل، ترى العشبة ذات الورقات الثلاث؟
هل، ترى كيف تلمع نجمة الصباح؟

هذه، شجرةُ العنكبوت المفترس،
الثورُ، يتلوّى عند جدعها.
حفرةُ الثعلب، تضيقُ وتتّسع.

رغباتٌ، لا تهرم،
لا تبقَ على حالها؟
أيدي ممدودةٌ في الفراغ.

أمواج البحر. عريضة

في الأعلى، نملةٌ تسحب وراءها غيمة.
شجرةٌ وجرسٌ يدقّ ويدقّ، الوقتُ يدٌ ثقيلة.

أمواج البحر، عريضةٌ،
أمواج البحر، رغوةُ الصخور والرمال.

عندما، تهاجر الطيور،
تأخذ معها، استرخاءة الشيخوخة وخصلة شعر، تتأرجح على سلك كهرباء.

صاح الديك في الفجر، كوكو كوكو كووووووو،
عندها، نبتت نخلةٌ فوق رأسه، الشمسُ استمعت إلى شكواه.

كانت، شجرة جبليّة،
وردتها، في علّيين وجذورها، تزداد عمقاً، في قلبه كلّ فجر.

"هذه ليست قدمي!" صاح العاشق
"هذه قدم سارق الحنطة" قال رئيس المخفر

"لكنها قدم بستة أصابع!" قال حلّاق القرية
"هذه قدم سائس الخيل" قال بائع الحمص المطبوخ

فم الغيمة

"هذه، وحشة الشاعر المجنون" قال صاحب الحان
"هذه، أنا في حياة سابقة!" قالت الصبيّة

هل، تعلم أين فم الغيمة؟
لا، لكني، أعلم أين عين الغيمة!

أين، عين الغيمة؟
فوق فم الغيمة تماماً! هكذا إذن! نعم، هكذا!

على باب الشمس الحمراء،
وقف الأسدُ، وقفت مغنيةُ الجاز، وقف فرسُ البحر،

وقف القمر، وقف البحر،
وقف الكثيب العالي، وقف الليل، وقفت النطفة،

وقف الإله القديم، وقف الإله الجديد،
حدّقت الشمس فيهم مليًّا، لم تتوقّف عن الكلام.

في آخر هذا الطريق، بستان صبّار.
لا تخفْ، امضِ في الفجر أو عند الغروب، ستلتصق الاشواكُ بالندى.

أرأيت!

لك، أن تصنع شمسك بورق مقوى واسلاك صدئة.
لك، أن تصنع قمرك بوردة ذابلة.

لك، أن تصنع ليلك وحدكَ، خُذْ من النهار كلّ شيء.
لك، أن تصنع نهارك وحدكَ، افتحْ النوافذ على شمس أخرى،

وارفعْ السُتر، حتى تصل أقدام الغيمة.
أرأيت! لك، أن تصنع الكثير، كي ترى العالم كما هو.

قبل، أن تدخل المفتاح في القفل،
تذكّر، أن حيوات عديدة، تقف أمام الباب.

فستان الفتاة، تهزّه شهوةٌ، في انتظار حبيبها.
تميلُ الأرضُ، ترتعشُ الأيدي، من ثقل الشهور والسنوات.

حنحنة الأب، يدخلُ بيته،
يسوّي ثيابه، في ظلٍّ، ينحسر سريعاً، يُبعدُ عنها غبار النهار.

زفرة الجدّة، تستلقي بطيئة خائفة،
تنتشر في البيت، قطراتُ مطر، هبوبُ رياح، وضحكاتُ ربيع.

حَسَكٌ تقذفه الريح

1

شمس سبتمبر، تأتي مائلة في الصباح الباكر.
أصوات العجّانة والعمّال المصريين، تملأ فناء البيت.
بومة الحقول الشهباء، غارقة في الغياب العظيم
وطائر البوبشير، يقطع الفضاء كأخبار عاجلة.

في المدى، قارب صيد صغير، يلمع.

بحر صبراتة، أرخى حبل آخر الهاربين، من صحراء الخائفين،
التفت، ناحية بيت الشاعر، الجالس في الشرفة،
"لماذا لا يحمل في يده، كأس الشاي المعطّر بالمريمية،
ولا تحادي همهماته، أغنيات عبد اللطيف حويل؟!" يسأل البحر.

اهتزّتْ، الأزهار البرّية.
اهتزّت قليلاً، صور العائلة على الحائط،
حكاياتهم، رنين أوتار آلة كونترباص.
غناء فزّاني، يأتي من آخر الشارع.

السُكر، عباءة من أكمامها، يتقاطر الرقص.

2

أضع طفولتي، في مزهرية على يميني.
أطبع مراهقتي، على حذاء رياضي،
أتركها، تركض في الشوارع والأزقة، حيرانة،
ثم، أدخل يديّ، في جيبي بنطلون باهت.

حسبي، حَسَكٌ تقذفه الريح، تحت شمس حارة!

لا أدري، أضحك أم أبكي، في صباح بطعم البنادول.
الشيخوخة، صارت حقل شعير أشهب.
فئران الحقل، شربت كل الماء وأكلت خميرة الخبز.
لم، يتبقّ إلا حنين يابس، ونواح أخرس.

تنهض القبرات، قبل الغداة،
تحوم في البيداء، عن أرواح وحشيّة.
الأقدام العجلى، تأخذ الخيل، إلى ساحة النصر،
لتشهد، فزعة النسوة، آن يشتدّ بالأرض الألم.

السائر في النوم ،كالسائر في الحيرة، نسيان كاملٌ.

سآتيك، فلا تقصّ أجنحتي!

أعطوه يداً،

قال لهم: لا تذكروني بها، وهي التي تقبض وتبسط.

أعطوه قدماً،

قال لهم: لا تذكروني بها، وهي التي تطوي السموات والأرضين.

أعطوه وجهاً،

قال لهم: ما مرّت ريح على وجهي، إلا هطل المطر،

وما رآني أحد، إلا احترق ونبت له ألف، ألف جناح

وصار كلامه مسك وعنبر.

وحين اقتربوا من عتبة بابه،

قال لهم: حسبكم مكانكم، وقصّ أجنحة أفكارهم ونثرها في الكون بدداً، بددا!

*

أنت، يا من وضع على خدّه كرسي الحروف،

وربطها بأحزمة الخوف، لماذا لما تكسّر، خيط شمس،

سالت نقطة، وفاضت أودية، وارتجّتْ في آخر الأرض، مدن وبلدات؟

*

مرآتي لا ترى غيري، وهي مغمضة،

كيف وهي مشرعة على الساحات والشوارع؟!

*

الكائنات ألفاظ، لا تخرج من باب، إلا لتدخل آخر.

يصفونها بالجنون، لأنها جنحت عن الطريق وبالجهالة لأنها وقفت.

*

الدنيا وما فيها،

حبّة خردل، في فم طائر!

*

هو في كلّ ذرّة والذرّات أحلام.

يسمع ما تفرق في البراري والغابات،

يرى ما ابتعد من الكائنات وضل الطريق.

يسبقهم وليس معهم.

يتقدّمهم وهم وحدهم في الدروب والمسالك.

زيارة ثانية إلى حجارة ابن الوردي

الأرض،

هذه الياقوتة، المتكئة على عنق سنبلة؛

بحارٌ شاسعة، حوافّها ظلمة، وضوء.

هي، أيضاً كثبان رمل، كأفخاد نساء شبقات.

وهي، في الديجور الأكحل، عواء أجنّة، تتقلّب في البراري.

كيفما، مددتَ يدك أو كيفما، ضجّت في فؤادك الأشجان،

ستقف هنا، وستقف هناك، ملوّحا بأحلامك إلى مسافرين،

في وقتٍ لا يتقدم ولا يتأخر!

كنّا قد دخلنا تلك القرية على جرف بحريّ عال.

كان أهل القرية وسيّد القرية، يرتدون أقنعة ملوّنة،

عليها قرون أوعال طويلة، واقفين لا ينطقون بشيء!

كنّا بضعة أنفارٍ، منهكين، جوعى.

حين التفتُّ ناحية الشجرة الوحيدة الكبيرة،

لمحتُ كأن ثمارها جميعها، حجارة!

قال لنا سيّد القرية:

لا يقدر أحد منكم مغادرة هذا المكان،

إلا إذا استبدل قلبه، بحجر من أحجار هذه الشجرة.

"وإن لم نفعل، ماذ سيحدث لنا؟" قلنا في صوت واحد

"سنسقي بدمائكم هذه الشجرة، وسنرصع بأعينكم سماء القرية."

"وماذا ستفعلون بقلوبنا إن وهبناها لكم؟"

"سنحملها على ظهور طيور تأتي لزارتنا مرة في السنة."

"وإلى أين تأخذها؟"

"هذا أمر لا علم لنا به."

"وإن لم تعطوا الطيور القلوب، ما الذي تفعله لكم."

"تأخذ قلوب أطفالنا ولا تخرج هذا الشجرة ثمارها."

"وما فائدة حجارة هذه الشجرة؟"

"كل حجر من هذه الحجارة، مفتاح قول، أو أمرٍ أو قبر!"

الحجر الأبيض

الجبلُ له قلبٌ، الشجرُ له وسادةٌ.

إن ضرب رأسه، سال دمُه أبيضَ، ومات.

إن أصفرّ، رُفِعتْ الحُجبُ وتكلّم بما شاء.

إن أحمرَّ،صار لا يفارق.

إن أغبرَ، أعان

وإن أخضرّ، فرِحتْ التينُ والأعناب

وإن أسودّ، حَزِن الهوشُ والهوام.

حجرٌ،

لا يهرم ولا تتبعه الشهوات.

يُلقى به على الأرض، كما تلقى الغيوم، على صدر السماء!

حجرٌ،

بائع أوهام، وخابز فطائر النور، للثكالى والأرامل.

حجرٌ،

يكون له ألف وجه، في الزحام،

و وجه واحد، حين تدخلُ بذرة في فرْج أرض!

الحجر الأحمر

مفتاح وقفل.

حوت في بطن محيط.

تنّينٌ، جوّاب آفاق، صيّاد قتلة، وصيّاد أحلام.

حجرٌ،

لا دم له ولا نفَسْ.

الأبيضُ، يمدّ أمامه الطرقَ والمسالك.

إن أسودّ، وَهبَ القدرة وكثرة نسلِ الأحلام.

إن أغبرّ، أو أصفرّ أَدلقَ

من فَم الإبريق بحرَ المحبّة.

إن أخضرّ، دُكّتِ النِّصالُ وفَشلتْ ريحُها.

الحجر البنفسجي

هو،

وردةُ بهجةٍ، لجّةٌ وساحلٌ.

إليه يجيء ماءُ كلّ بئرٍ وكلّ عينٍ.

إن أسودّ، فذلك لوبانُ الحيرة.

إن إصفرّ، خرج كما يخرج الخيطُ من سمِّ الخياط.

إن إغبرّ، مدّ جفنُ العين سريراً للمحبوب.

إن أحمرّ، كان كالرغيف في حُمرة التنّور.

حجرٌ،

لا ينام، إلا على خدّ حسناء،

ولا يطربه، إلا سماع جريان ماء في خلاء!

الحجر الأخضر

من أينما أتيتَ، تجده أمامك وخلفك.

حارس الغانيات، وحارس الكتب في الصوامع والأديرة.

أصحابه، مهرة في الضرب بالسيوف والمنجليق،

يصيح مرّة كل قرن من الزمان، فتنفلق الأرض وتخرج دخانها.

حجرٌ،

الأبيضُ صحوته، والسوادُ شمسُه الطالعةُ.

إن أصفرّ، شفي وكذلك إن أغبرّ.

حُمرته فتيلةُ مصباح وزيته نهرٌ.

حجر الخطّيف

يعلّق مرآته على شجرة تين.

الأحمرُ الفلفليُّ غربالُ هفوات العقلِ،

والأبيضُ الثلجيُ لسانُ القلب وأُذنيه.

حجر،

كثير السهو،

في غفلته تتخطّفه، زرازير التوت وحمرة الرمّان!

حجرٌ،

باردٌ ،كقطرات المطر!

حجر السنونو

تأتي به السنونوة لأفراخها،

والزعفرانُ مَصْيدته، التي يدخلها الغرباء والشعراء.

حجرٌ،

بعضه حياة، وبعضه فراق.

ريح نعناع ريّان،

حين يجيش بأحزانه، تأخذه إلى سماء، يحوّم ما طاب له.

حجرٌ،

ما نظر إلىه ناظرٌ، إلا رأى وجهه فيه!

حجر القيْ

هو من أرض طين، مبلول،

جاء به النيلُ ، ثمّ

أخرجته الأيدي المتعبةِ، من بطن الوادي.

مَن

التقطَه قَذفَ ماء جوفه، ومَن تركَه نجا.

حجر،

كلّه غياب!

حجر المطر

صاحب ليل، وصاحب خمر.

هو ببلاد التُرك،

يتنقّل من يدٍ إلى يد

ومن قرية إلى قرية.

حجرٌ،

ملكٌ،

إن لامس ماءً، أمطرت السماء.

حجر البحر

خفيفٌ خشنٌ،

صاعدٌ نازلٌ، في غيّه

تتباهى الحسناوات،

وفي حضرته لا غريق في بحر،

ولا ماء يغلي في قدر.

حجر الدجاجة

يمكن له أن يجعل الكون

ظِلاً، في قوانص الدجاج،

مثلما يمكن له

أن يسرق اللحن، من قلب العندليب.

حجرٌ،

في ساحته

لا طفل يفزع في نومه

ولا شيخ ينام وحيداً في سريره.

حجر البهت

في البرية، تأتيه الكائنات،

كلّ بحسب حاله،

هو نخلة، بلا اسم،

وكمأة، في جبّ عميق.

حجرٌ،

إنسيٌ المزاج،

شغوفٌ، بالضحك والسرور.

حجر الدرّ واللؤلؤ

تماماً، في الثامن من نيسان،

تصطفّ أصدافُ اليمّ، على سطح اليمِّ،

تُفردُ للسماء، أجنحتها الصلبة،

تخضّ الكون، بطَرقات الريح.

تماماً، حين يأتي القمر الكامل،

يبيضّ سطحُ البحر، وتضع السماءُ أحمالها:

قطرةً، في كلّ صَدفة أو أكثر.

وإلى قاع البحر تعود، ثمّ على مهلٍ،

تبني بيوتها، على شعاب مرجان.

حجر،

النسيان، بعض أسمائه.

*ابن الوردي: هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي.ولد بحلب سنة 1292 ومات بالطاعون سنة 1349 من مؤلفاته: خريدة العجائب وفريدة الغرائب.

الخريدة في قاموس المعاني: اللؤلؤة لم تُثقب، فتاة عذراء لم تُمس.

تحت عنّابها

حبيبتي، مستلقية الآن.
فمي،
يدي،
والسموات السبع،
في برزخ اللذة.

أيّ فخامةٍ،
ورقة العطر، في كأس الشاي.
''الخوخ ما أبغي كي تشتعل الرغبة.
أريد أن أخلع ثوبي،
أركض بيداء الشهوة،
أقضم ثدي السماء!

كيف، ليدي أن تسقيك،
كيف، لها أن تمسح النوم، من على شعرك،
كيف لها، أن تضغط برفقٍ على شفتك،
كيف لها، أن تفتح بوابة غابتك،
ولفمي أنْ يرتشف ماشاء من عسل؟

هي الهضبة المباركة ما ترى يا فارسُ،
فاركض بحصانك خبباً، خبباً.

كنْ رقيقاً، على استدارة الرمّان.

النهر إذا سال، اضطجع على جنبٍ، ولا تخف.

مكانك، حيث يفيض النهر.

"هاته"
قالت، وأحمرتْ وجنتاها.

لأني، لم آخذ من الشفةِ، إلاّ رجفتها،
لأني، لم أترك من قبلتي، إلاّ شوقها،
لأني، لم أدخل إلى غابتها، إلاّ على مهلٍ،
أتلذّذُ، بالمقام الحميم.

أنهضُ،
يدي تقطرُ،
شفتي تقطر،
يا لعسلها!

أنهضُ،
لا أنهضُ،
الجرّةُ مليئة بالعسل.

أنهضُ، من تحت عنّابها،
السرير يترنحُ، والبابُ ليس أمامي.

أنهضُ، من تحت تلّةٍ فخمةٍ،
فرداً.

أنهصُ، من تحت نهدها،
لا السماء سماء ولا الأرض أرض.

أنهضُ، من تحت غلالتها،
لا الماء ماء، ولا سجّادتي في مكانها!